

روح المعاني

ابتداء السنة المحرم أو شهر ربيع الأول لأنه ولد فيه صلى الله عليه وسلم ومنه اعتبر التاريخ في حياته E إلى خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وهو الأصح وقد كان الوحي إليه صلى الله عليه وسلم على رأس الأربعين سنة من مدة عمره E على المشهور من عدة أقوال فكيف يكون ابتداء الإنزال في ليلة القدر من شهر رمضان أو ليلة البراءة من شعبان . وأجيب بأن ابتداء الوحي كان ماما في شهر ربيع الأول ولم يكن بإنزال شيء من القرآن والوحي يقطة مع الإنزال كان في يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وقيل لسبع منه وقيل لأربع وعشرين ليلة منه وأنت تعلم كثرة اختلاف الأقوال في هذا المقام فمن يقول بابتداء إنزاله في شهر يلتزم منها ما لا ياباه .

واختلف في أول ما نزل منه ففي صحيح مسلم أنه يا أيها المدثر وتعقبه النووي في شرحه فقال : إنه ضعيف بل باطل والصواب أن أول ما نزل على الإطلاق اقرأ باسم ربك كما صرح به في حديث عائشة وأما يا أيها المدثر فكان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر .

وأما قول من قال من المفسرين أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر أه والكلام في ذلك مستوفي في الأتقان فليرجع إليه من أراد .

ووصف الليلة بالبركة لما أن إنزال القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها أو لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وفضيلة العبادة أو لما فيها من ذلك وتقدير الأرزاق وفصل الأفضية كالأجال وغيرها وإعطاء تمام الشفاعة له E وهذا بناء على أنها ليلة البراءة فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع إلا من شرد على الله تعالى شراد البعير وأيا ما كان فدق قيل : إن التعليل إنما يحتاج إليه بناء على القول بما اختاره العز بن عبد السلام من أن الأمكنة والأزمنة كلها متساوية في حد ذاتها لا يفضل بعضها بعضا إلا بما يقع فيها من الأعمال ونحوها وزاد بعضهم أو يحل لتدخل البقعة التي ضمته صلى الله عليه وسلم فإنها أفضل البقاع الأرضية والسموية حتى قيل وبه أقول إنها أفضل من العرش .

والحق أنه لا يبعد أن يخص الله سبحانه بعضها بمزيد تشريف حتى يصير ذلك داعيا إلى إقدام المكلف على الأعمال فيها أو لحكمة أخرى وجملة إننا أنزلناه جواب القسم وفي ذلك مبالغة نحوما في قوله : .

وثناياك أنها إغريض .

وقوله تعالى : إنا كنا منذرين .

3 .

- استئناف المقتضى للأنزال وقوله تعالى : فيها يفرق كل أمر حكيم .

4 .

- استئناف أيضا لبيان التخصيص بالليلة المباركة فكأنه قيل : أنزلناه لأن منشأنا
لأنذار والتحذير من العقاب وكان إنزاله في تلك الليلة المباركة لأنه من الأمور الدالة على
الحكم البالغة وهي ليلة يفرق فيها كل أمر حكيم ففي الكلام لف ونشر واشتراط أن يكون كل
منهما بجملتين مستقلتين مما لا داعي إليه وقيل : إن جملة فيها يفرق الخ صفة أخرى لليلة
وما بينهما اعتراضا يضر الفصل به بل لا يعد الفصل به فصلا وقيل إن قوله تعالى إنا كنا
منذرين هو جواب القسم وما بينهما اعتراض وإليه ذهب ابن عطية زاعما أنه لا يجوز جعل إنا
أنزلناه جواب المافية من القسم بالشئ على نفسه .
واعترض بأن قوله تعالى : فيها يفرق كل أمر حكيم يكون حينئذ من تنمة الاعتراض فلا يحسن
تأخره عن